المجالس بالأمانة

عثمـــان بن الحسن المكي

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنّ الواجب على المسلم حِفْظُ أسرار المجالس؛ لقول النبي ﷺ: «إذا حَدَّثَ الرجُل الحديث، ثم التفتَ، فهي أمانة»، قال الترمذي في سننه [١٩٥٩]: «هذا حديثٌ حسنٌ»، وقال النبي ﷺ: «المجالس بالأمانة...» [مسند أحمد: ١٤٦٩٣]، وإنّ هذا من الأدب الذي أخلّ به كثيرٌ من الناس اليوم، إلا من رحم رب العالمين. وقال الله تعالى واصفًا عباده المؤمنين، في سياق المدح: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]، «يعني بهذا: ما ائتُمنوا عليه فيما بينهم وبين الناس» [الدر المنثور: ٦/٨٨]، والآيات في هذا المقام كثيرة جدًّا، ونكتفي بما ذكرنا.

إنّ حفظ الأسرار ينطوي تحت كل ما هو مأمور به من فضائل، وإفشاءها ينطوي تحت كل ما هو منهي عنه، وهو من علامات النفاق؛ لقول النبي ﷺ: «أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خَصلةٌ منهن، كانت فيه خَصلةٌ من النفاق حتى يدَعَها: إذا اؤتمن خان، وإذا حَدَّثَ كذَب، وإذا عاهَد غدَر، وإذا خاصَم فجَر» [صحيح البخاري: ٣٤]. وعن أبي سعيد الخدري ﵁، قال: «قال رسول الله ﷺ: إنّ من أشرّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجُلَ يُفْضي إلى امرأته، وتُفْضي إليه، ثم يَنْشُرُ سِرَّهَا» [صحيح مسلم: ١٤٣٧].

ولمّا سارَّ النبي ﷺ فاطمة ﵂، وأرادت عائشة ﵂ أن تعرف ما قال رسول الله ﷺ لفاطمة، فأجابتها: «ما كنتُ لأُفْشي على رسول الله ﷺ سِرَّهُ» [صحيح البخاري: ٦٢٨٥]. انظرن يا نساء وبنات المسلمين! هذه الأخلاق التي نريدكن أن تتربين عليها.

وقد كان حفظ الأسرار مَنقَبة يُمدَح بها المرء عند السلف، فعن إبراهيم النخعي، قال: «ذهب علقمة إلى الشأم، فلمّا دخل المسجد، قال: اللهم يسّر لي جليسًا صالحًا. فجلس إلى أبي الدرداء، فقال أبو الدرداء: ممّن أنت؟ قال: من أهل الكوفة. قال: أليس فيكم –أو منكم– صاحب السر الذي لا يعلمه غيره –يعني حذيفة–؟ قال: قلتُ: بلى...» [صحيح البخاري: ٣٧٤٣].

ولا إيمان لمن لا أمانة له؛ فعن أنس بن مالك، قال: «ما خطبَنا نبي الله ﷺ إلا قال: لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له» [مسند أحمد: ١٢٣٨٣]، أي: قَلَّ أن تجد خُطبة من خُطب النبي ﷺ ومواعظه إلا ذكَر الأمانة؛ لعِظم الأمر، وتهاوُن الناس بها.

ومن جميل وعجيب ما حكاه ثابت، عن أنس بن مالك ﵁، قال: «أتى عليَّ رسول الله ﷺ، وأنا ألعب مع الغلمان. قال: فسلّم علينا، فبعثني إلى حاجة، فأبطأتُ على أمي، فلمّا جئتُ، قالت: ما حبَسكَ؟ قلتُ: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة. قالت: ما حاجتُه؟ قلتُ: إنها سر. قالت: لا تُحَدِّثَنّ بسِر رسول الله ﷺ أحدًا. قال أنس: واللهِ! لو

حدّثتُ به أحدًا لحدّثتُكَ يا ثابتُ!» [صحيح مسلم: ٢٤٨٢]. انظروا إلى أنس بن مالك، كيف حفظ سر رسول الله ﷺ حتى عن أمّه، وهو من الغلمان، وأعجبُ منه وصية أمّه له بحفظ سر رسول الله ﷺ!

ويدخل في ذلك، تصوير المحادثات الشخصية التي تكون عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وتسجيل الأصوات والمكالمات، ونشرها، فإنها من الخيانة لصاحبها، وقلة دين وإيمان وأمانة، وفاعل هذا من شر الناس منزلة عند الله تعالى؛ فإنه في غالب الأحيان ما حدّثك المسلم إلا لأنه استأمنَك على ما قاله.

وليس هذا من شيَم الفضلاء والنبلاء، وكما قيل: «صدورُ الأحرار قبور الأسرار»، فكتمان الأسرار لو لم يكن من الدين، لكان من المروءة والوفاء، وهو من خلُق الرجال الأحرار، والنساء الحرائر.

يقول الحسن البصري: «إنما تُجالسون بالأمانة، كأنكم تظنّون أنّ الخيانة ليست إلا في الدينار والدرهم، إنّ الخيانة أشد الخيانة أن يُجالِسنا الرجُل، فنطمئنّ إلى جانبه، ثم ينطلق فيسعى بنا...» [الإحياء: ٣/٣٢٩].

وإنّ من الآداب، أنه يُمنع عليك الجلوس إلى اثنين يتناجيان إلا بعد إذنهما، فكيف بمن ينشر هذه المحادثات والصور والأصوات؟! وقد يؤدي هذا إلى خراب بيوت بأكملها، والله المستعان.

«ويدخل في ذلك، تصوير المحادثات الشخصية التي تكون عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وتسجيل الأصوات والمكالمات، ونشرها، فإنها من الخيانة لصاحبها، وقلة دين و إيمان وأمانة...»

قال سعيد المَقْبُرِيّ: «رأيتُ ابن عمر يناجي رجلًا، فدخل رجُل بينهما، فضرب صدرَه وقال: قال رسول الله ﷺ: إذا تناجى اثنان، فلا يدخُل بينهما الثالث إلا بإذنهما» [مسند أحمد: ٦٢٢٥].

ويزداد عظَم الأمر إن كانت هذه المحادثات تحتوي على الكلام الليّن الذي يكون بين النساء، فهذا مدعاة إلى إشاعة الفاحشة، وإثارة الشهوات، فاتقوا الله عباد الله.

قال عبد الله بن مسعود:

«لما نزلت ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، قال أبو الدحداح: يا رسول الله، أو إن الله يريد منا القرض؟! قال: نعم يا أبا الدحداح! قال: يدك! قال: فناوله يده. قال: فإني قد أقرضتُ ربي حائطي، حائطًا فيه ستمئة نخلة. ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه في عيالها. فناداها: يا أم الدحداح! قالت: لبيك! قال: اخرجي! قد أقرضت ربي حائطًا فيه ستمئة نخلة» [تفسير الطبري: ٥٦٢٠]